دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، خريف ۱۳۹۱، العدد الخامس عشر، صص ۱۱۵-۱۳۲

التناقض فی شعر محمدمهدی الجواهری

فیروز حریرچی*

مهدی ممتحن**

رحیم انصاری‌پور***

الملخص

تطرقت هذه الدراسة التناقض فی شعر *محمدمهدی الجواهری* الذی عاش فی زمن مخاض الحوادث و التطورات السیاسیة، التی مرت علی العراق بدءً من ثورة العشرین بقیادة علماء الدین، و انتهاءً بحزب البعث و *صدام حسین*. کان *الجواهری* متناقضاً فی شعره تجاه حزب البعث، و علماء الدین، و الحرکة الاسلامیة المعاصرة، و المد الأحمر الشیوعی الذی سیطر علی الشارع العراقی فی عهد *عبدالکریم قاسم*. *فللجواهری* مواقف تجاه تلک الحوادث تبرز بصورة ساخرة فی شعره السیاسی، و مواقفه من خلال القاء الضوء علی شعره السیاسی فی المراحل التاریخیة، التی مرّت علی العراق و تحتاج الی رؤیة موضوعیة.

الکلمات الدلیلیة: الشعر السیاسی، محمدمهدی الجواهری، التناقض، حزب البعث، المد الشیوعی، الأدب العراقی.

---

* عضو هیئة التدریس فی جامعة آزاد الاسلامیة، قم(استاذ).

** عضو هیئة التدریس فی جامعة آزاد الاسلامیة، جیرفت(استاذ مشارک).

dr.momtahen@gmail.com

*** طالب الدکتوراه فی جامعة آزاد الاسلامیة، قم. raheemansaripour@yahoo.com

الکاتب المسؤول: رحیم انصاری‌پور

تاریخ الوصول: ۹۰/۱۱/۱۱ تاریخ القبول: ۹۱/۵/۱۰

المقدمة

تناولت هذه الدراسة التناقض فی شعر *محمدمهدی الجواهری* الذی عاش فی زمن مخاض الحوادث السياسية، التی عصفت بالعراق و العالم الاسلامی؛ فتطلب منه مواقف تجاه الحوادث التی حدثت فی وطنه. فمن ثورة العشرين فی العراق ضد الانجليز الی انقلاب الرابع عشر من تموز ۱۹۵۸م، و سيطرة المد الشيوعی الأحمر علی الشارع العراقی و انتهاءً باستيلاء حزب البعث علی الحكم، و تعرض العلماء و الحركة الاسلامية للاضطهاد و السجن و القتل و التشريد.

فللجواهری مواقف تجاه تلک الحوادث تبرز بصورة ساخرة فی شعره السياسی، و مواقفه من خلال القاء الضوء علی شعره السياسی فی المراحل التاريخية، التی مرّت علی العراق تحتاج الی رؤية موضوعية، و حس محايد يفصل بين ما هو عاطفی و ما هو واقعی؛ فلذلک لمسنا الحاجة الماسة لتناول شعره السياسی المتناقض و لا سيما ان الدراسات التی تناولت *الجواهری* و شعره تفتقد الموضوعية، فكثير ما نشر عنه سواء فی العالم العربی ام فی ايران يبرز فيه انحياز و تقليد، فالمديح تلی المديح و تمجيد فی غير موضعه.

صحيح ان *الجواهری* شاعر كبير و لكن له عثرات لا تغتفر، و لو قلنا اكثر قصائده فی تمجيد الملوک و الرؤساء ربما كان لكسب الشهرة و التملق و الاموال ككثير من الشعراء ما ظلمناه، و لايخفی ان هناک عوامل لعبت دورها فی التعريف به و اشتهاره علی الملأ و اذاعة صيته اهمها دور الحزب الشيوعی العراقی الذی زمّر له كثيراً و من ثَمّ البعثيون فی اوائل حكمهم الاسود، بالاضافة الی الخلاعة و العری و المسخ السافر فی شعره، فهو اباحی عانق النساء و عاقر الخمرة، فيتلذذ بذكر الاعضاء التناسلية للمرأة و لم يقلع عن ذلک عند الكهولة فی السن التسعين، و ما تورع عن تناول الخمر حتی سكرات الموت، يقول عن نفسه عند اشتراكه فی حفل غنائی أقيم للمغنية المصرية *أم كلثوم* فی العراق: «كنت اروم مكاناً قصياً اعتزل فيه، لاناغی نفسی بما ستشدوا به أم كلثوم و أن أتناول من دون سائر الأشربة المتناسبة و المنسجمة مع هذا الحفل الفخم العرق العراقی»(الجواهری، ۱۹۹۸م، ج۱: ۴۴۳).

شعره السياسی المتناقض من تمجيده للملوک و الرؤساء، بقصائده العديدة بقی بدون دراسة موضوعية و لم تبين اتجاهاته الهزلية، فالتأمل و التعمق فی قصائده يصلنا الی أنه

سقط فی الحضیض و لم یحاول أن یخرج من مستنقعه الی ان وافته المنیة. قصائد *الجواهری* تستنجد *بعبدالکریم قاسم* و تحرضه علی توقیع احکام الموت، و کانت دعوته هذه منسجمة مع مواقف الشیوعیین الذین کانوا ینادون *قاسم*: «إعدم،إعدم، جیش و شعب یحمیک»، کما وصف *قاسم* ب"أب الاحرار"! فأنشد له محاکاةً لما تغنت له المغنیات *کمائدة نزهت* و *احلام وهبی*، و کان موقف *الجواهری* تجاه *الإمام الحکیم* فی فتواه ضد الانتماء الی الحزب الشیوعی المارکسی سلبیاً، و *الجواهری* ینتمی الی المذهب الشیعی. *فالجواهری* حفید الفقیة الکبیر *محمد حسن الجواهری* صاحب کتاب «جواهرالکلام» الذی أصبح مصدراً للدراسات الإسلامیة العلیا، و البحث الخارج فی الحوزات العلمیة، و لم یواصل دراسته الحوزویة و الاکادیمیة أرادوه للدین علماً و لکن أراد هو أن یکون شاعراً.

مولده و نشأته و مدفنه

أبوفرات محمدمهدی بن الشیخ عبدالحسین بن الشیخ عبدعلی بن الشیخ محمدحسن صاحب «جواهرالکلام»، أشهر مشاهیر الشعراء فی العصر الحاضر إنتهت إلیه إمارة الشعر بلا منازع.

تختلف الروایات فی التقدیر الدقیق لتاریخ ولادة *الجواهری*، و مدار هذا الإختلاف بضع سنین؛ ولد *الجواهری* عام ۱۹۰۳م بمدینة النجف الاشرف أو عام ۱۹۰۱م و الأول هم الأصح، و مما قیل أنه ولد عام ۱۸۹۹م أو ۱۹۰۰م، و یبدو أن منشأ هذه التقدیرات یعود الی عدم تصریح *الجواهری* نفسه بالتاریخ الدقیق لولادته، و لکن *الشیخ جعفر محبوبة* مؤلف کتاب «ماضی النجف و حاضرها» و الذی یقول *الجواهری* عنه بأنه «صادق و ثقة و کتابه قیم»، یقول أن *الجواهری* ولد لیلة السابع عشر من ربیع الأول سنة ۱۳۱۷هـ .ق. فیجیب *الجواهری* بالإیجاب علی أساس ان هذا التاریخ قد یرقی به بعد إلی ما بعد عام ۱۹۰۰م و من الممکن إرجاع سبب الاختلاف الی عملیة تطبیق التاریخ الهجری علی المیلادی و قواعد التحویل.

و لما کان *الجواهری* قد أید التاریخ الذی أثبته *جعفر محبوبة* أی عام ۱۳۱۷هجری قمری فقد قال *الدکتور علی جواد طاهر*: «و کان الذی شجعه علی الاستمرار فی التأیید

جهلة الفرق بين السنة الميلادية و الهجرية، و تصوره أن هذاالتاريخ يرقى به الى ما بعد عام ۱۹۰۰م»، و نرجع إلى قواعد تحويل الهجرى الى الميلادى و الى الجداول العلمية المعترف بها فيظهر أنه ولد يوم الأربعاء السادس و العشرين من تموز ۱۸۹۹م، و يبدو أن هذا هو التاريخ الصحيح لما هو معروف من صدق *محبوبة* و تثبته و صلته بآل الجواهر و لصيغة تاريخ الولادة حتى لكأنه استقاها من أوثق المصادر، و كان من دابة أن يحترى و يرجع الى الأصول فلم لا يكون قد أخذه عن والد الشاعر نفسه و مهما يكن من تاريخ ولادته فقد وُلد بالنجف الأشرف و نشأ و درس فى الصحن العلوى(الجبورى، ۱۹۹۳م: ۱۰).

قال *الجواهرى*: «ولدت مع مولد هذا القرن المضطرب، كان البيت الذى وُلدتُ فيه و نشأت بقرب الصحن العلوى، و لذلک تفتحت أول ما تفتحت على هذه الفسيفساء الآدمية العجيبة، المتداخلة، المتعارضة، التى يضمها الصحن و الحضرة و السور المرمرى الذى يحيطها»(الجواهرى، ۱۹۹۸م، ج۱: ۳۵).

ولد *محمدمهدى الجواهرى* فى السنين الأولى من القرن العشرين من أسرة دينية؛ كان جده الأعلى *الشيخ محمدحسن* مرجع شيعة الإمامية فيعهده و كتابه المشهور «جواهرالكلام» الذى اقتبست الأسرة لقبها منه(العلوى، ۱۹۶۹م: ۱۹). طلع *الجواهرى* على القرن العشرين من بيت أسواره الدين و المذهب، و أعمدته العلم و الثقافة و الأدب و من مدينة بيئتها الدين و ظواهرها التحفظ و الالتزام و محيطها بحار من كتب الاستدلال و الجدل و الفلسفة و الأحكام و رجالها علماء، فقها، مراجع التقليد، شعراء و أدباء، و من بلد تتكالب عليه القوى الإستعمارية.

إرتشف *محمدمهدى* مناهل الأدب و اللغة و الفلسفة، فدرس «الأجرومية» و «قطر الندى» و «ألفية ابن مالک» و «مغنى اللبيب» و «شرح النظام فى الصرف» و «الحاشية للملا عبدالله» و «شروح الشمسية فى المنطق» و «المطول و المختصر فى البلاغة» و «شرح اللمعة» و «مكاسب الشيخ الأنصارى»(الجبورى، ۱۹۹۳م: ۱۰).

نشأ *الجواهرى* على والده العالم الأديب، قرأ مقدماته الأولية على أخيه *عبدالعزيز* و *الشيخ على الشرقى*. الحساب على *السيد أبى القاسم الخوانسارى* و البيان و المعانى على *الشيخ مهدى ظالمى* و *الشيخ على ثامر* و حفظ الفقه و اصوله على *سيدموسى الجصانى* و

السید حسین الحمامی(الفتلاوی، ۱۹۹۹م: ۶۱۳). هذا کله و هو لم یشتد عوده بعد بل لایزال فی الخطوة الأولی لعبور العقد الأول من عمره.

أما لطفولة *الجواهری* فله معها شأن، فقد عاش طفولة یلعب فیها دور الکبار صغیر فی قالب الکبیر، صبی یطلب منه أن یدع الصبابة و الطفولة و یعیش عالم الخبراء الکبار، ألیس فی الأمر مغامرة حقاً! نشأ فی کنف والده الفقیه و الأدیب الذی لازم إبنة ملازمة خاصة و عنی به عنایة الأب و الأستاذ و المرشد، و لن یفارقه حتی وافاه الأجل عام ۱۹۱۷م.

و الظاهر أن الالتزام الغیر طبیعی من *الشیخ عبدالحسین* لأبنه *مهدی* أن دلَّ علی شیء، فإنما یدل علی التشخیص الدقیق لنبوغ *الجواهری* و الاهتمام البالغ بمستقبله و هو صبی و حسب. و الحق أن *الشیخ* لم یکن متوهماً أبداً فی هذا و ان کان أمله فی أبنه غیر ما آل الیه *محمدمهدی الجواهری*. قال *الجواهری*: «بعد وفاة والدی إنفردت بشخصی و تفردت بشخصیتی، مثلما ینبغی لکل مخلوق قبل ذلک کنت مجرد ظل له و لوصایته المحکمة علیّ»(الجواهری، ۱۹۹۸م، ج۱: ۸۵).

لقد دفع *الجواهری* ثمناً باهضاً لطفولته تلک کما قال: «و قد أتعبتنی السنوات العشر الأولی منها أکثر من العشرات العشرات التی تلتها، فإلیها تعود العقد، و الرواسب، و اختلاط الحسنات بالسیئات اختلاطاً یصعب علیَّ و أنا صاحبه أن أجدله مبرراً غیر أن أعود القهقری إلی هذه المرحلة، التی حکمت کل حیاتی التالیة و غالباً ما کانت ذکریاتی عن الفترة مدیرة و کثیراً ما اختلطت هذه المرارة بالسخریة»(المصدر السابق: ۳۹).

درس *الجواهری* فی المدرسة العلویة فی مسقط رأسه، ثم أخذ علومة فی اللغة و الأب عن *محمدعلی المظفر* و *علی ثامر* و غیرهم من مشایخ الغری، و نبغ فی الشعر قبل أن یبلغ الحلم(بصری، بدون تاریخ: ۱۸۰).

الشاب المتمرد

إذا کان *الجواهری* قد خسر طفولته و دفع ثمناً غالیا لمرارة أیام حملته واقعاً خاصاً، کان طبیعیاً أن یسود روحه طابعاً متمرداً یجره نحو التطرف بین الحین و الآخر، و الأمر

من ذلک أن هذا الطابع المتمرد قد سکن کیانه و لازمه حتی خارج مراحل شبابه بل فی عمره کله.

و هو القائل: «أننی أعیش مرارة تلک الأیام حتی الآن، و کانت السبب فی کل هفواتی و سقطاتی اللاحقة بدافع طموحات لم أخلق لها»(الجواهری، ۱۹۹۸م، ج۱: ۴۹).

کان والده *الشیخ عبدالحسین الجواهری* حریصاً جداً علی متابعة إبنه *مهدی* لدروسه و حضوره معه، و إستصحابه إلی مجالس العلماء الکبار، لیدفعه دفعاً عجولاً نحو عالم الشیوخ و فی هذا المجال یقول الجواهری: «کانت سنوات حیاتی، خلال ذلک تختصر قسراً الی شهور، بل أسابیع و قد حملت إلی سنوات حیاتی اللاحقة، تبعات کل تلک الفترة التی سرقت منی، حملتها بکل تناقضاتها و مفارقاتها حیث انعکست علی حیاتی و شعری بل و علی تعاملی مع الناس و من معی، دائماً کان هذا الطفل الذی انتزعت منه طفولته یخرج من جدید بشکل ما مشاکساً عنیداً غافلاً متغفلاً متناقضاً مبلبلاً، و کان الطفل یفلت حالماً ینتهی من امتحاناته الیومیة الرهیبة لیخرج و قد أطلق سراحه الی الزقاق فی وقت متأخر من النهار یکون فیه الأطفال قد شبعوا لعباً و عادوا أو أوشکوا أن یعودوا الی بیوتهم»(الجواهری، ۱۹۹۸م، ج۱: ۵۴).

و یبدو أن هذا الإجحافات أو الخیبة التی کان یراها *الجواهری* فی التعامل القسری، بالنسبة له قد أدت به الی نمو و رشد نزعة التمرد و التناقض لدیه فی سنین شبابه، و من ثم فی بقیة عهود حیاته.

فلقد تمرد ابتداءً علی «الملة أم جاسم» فی کتابها، و من ثم من حلقات دروس جناب عالی، و بعدها المدرسة العلویة و الثانویة و کان تمرده الی حد البغض و الفرار.

و لم یکن *الجواهری* بالذی یرضی بطفولة کطفولته، و لا بصبوة کصبوبة مما دفعه بالتالی فی عنفوان شبابه النزوع نحو الخلاص من هذه القیود، و هذه الزنزانات التی تهضم حقوقه فی الطفولة و الشباب، لیصل إلی عهد یصف فیه نفسه و عمامته التی ألبسوه بها: «حتی لکأننی أصبحتُ أبن جلا و طلاع الثنایا»، و المقصود"بابن جلا و طلاع الثنایا" *الحجاج بن یوسف الثقفی* والی الکوفة.

لقد رأی *الجواهری* التمرد لنفسه طریقاً و سلوکاً لم یکن بإمکانه الخلاص منه، و ان کان یرید ذلک لقد عاش کبیراً و هو صبی، و عاش حیاة الصغار و هو شیخ کبیر تجاوز

الثمانین، و هذه المفارقات و سمات التناقض الذی کان یملأ حیاته. و قد قال: «عشت حیاة عاصفة، اختلطت فیها عوالم بعوالم، الفقه بالشعر، و الشعر بالسیاسة، و السیاسة بالصحافة و الصحافة بالحب و الحب بالصداقات و البؤس بالنعیم و التوطن بالترحل و الطفولة بالرجولة»(الجواهری، ۱۹۹۸م، ج۱:۱۴).

لقد أُرید للرجل أن یجعل فقیهاً نابهاً یعید المجد الغابر(لصاحب الجواهر)، لکنه بمجرد التنفیس، لیعلن التمرد علی کل الواقع المؤذی لطبعه و کیانه، لذلک لم یحقق أمل والده فی التمرس بالفقاهة و تطرف فی هذا تطرفاً علنیاً و ثار ثورته الکبری علی التزمت الذی کان یمقته فی محیطه، و أودع العمامة جانباً و خرج أفندیاً متطرفاً یحمل بهجومه لیحتل المواقع واحد بعد الآخر و یمسک بزمام الأوضاع فی محیطه الثوری الجدید، الذی أستطاع أن یخلق لنفسه معتقداً أن أیام القفص الحدیدی قد ولّی دون رجعة و علیه بنا قفصاً ذهبیاً یفتقد ببابه سجان لایزهد بمفتاح قفصه و جاءت طلقاته قویة و قاتلة فی قصائد «جربینی» و «الرجعیون» لتجر بعدها طلقات أقوی و أخطر. و لنقرأ له أین أودع العمامة و بهذه السرعة الخاطفة إذ قال فی قصیدة «النزعة»:

قال لی صاحبی الظریف و فی الکفْ ـفِ ارتعاش و فی اللسان إنحباسه
أین غادرت عمةً و احتفاظاً قلت: إنی طرحتها فی الکناسة
صاحبی لا ترعک خسة دهر کم نفوس شریفة حساسة

(الجواهری، ۱۹۸۶م: ۸۱)

و قال فی قصیدة «الرجعیون»:

ستبقی طویلاً هذه الأزمات إذا لم تقصر عمرها الصدمات
سیبقی طویلاً یحمل الشعب مکرهاً مساوی من أبقت الفترات
علی باب شیخ المسلمین تکدست جیاع علتهم ذلة و عراة

(الجواهری، ۱۹۸۶م: ۸۴)

و یفتح *الجواهری* صفحات التحدی بمسارات عدیدة تتراوح بالإفراط و التطرف فی مراحل، و بالرجوع و العودة الی التراث البیئی مراحل أخری. یبدو أن *الجواهری* فی عهود تطرفه و إفراطه الساخر بکل شیء. أوضع مایقال لوصف الحالة هو أنه أدرج ثورته و تمرده

على واقعه بالتحرک من التحفظ الی التحرر، أو بالأحری التحرک من مسار أقصی الیمین نحو أقصی الیسار.

وفاته و مدفنه

فی یوم الأحد ۱۹۹۷/۷/۲۷م رحل *محمدمهدی الجواهری*، الذی وافته المنیة عن عمر بلغ ثمانیة و تسعین عاماً بدمشق العاصمة السوریة بعد عشرین عاماً من الإقامة فیها، و قد شیعت دمشق جثمانه بانطلاق مسیرة ضخمة، تقدمها نائب الرئیس السوری ممثلاً عن الرئیس *حافظ الأسد* و رئیس مجلس الوزراء *عبدالقادر قدورة* و عائلة الفقید و شخصیات سیاسیة و ثقافیة و جمهرة غفیرة من العراقیین المنفیین، و قد إخترقت المسیرة شوارع دمشق فی طریقها إلی مقبرة الغرباء فی حی *السیدة زینب(ع)* حیث ترقد زوجته *أم کفاح* (جریدة الاتحاد، ۲۰۰۰م، العدد ۳۹۴).

لقد واکب التناقض حیاة *الجواهری* حتی فی مماته، ألیس من عجب العجاب أن یتولد *الجواهری* فی بیت مجاور لأعظم مقبرة فی الدنیا (وادی السلام) یمر علیها *الجواهری* فی کل فرصة، و حین عشرات و مئات المرات ذاهباً و آیباً آحاداً و اجتماعاً لیلاً کان أو نهاراً و أن یدفن فی مماته، بعیداً عن وادی النجف بعیداً عن مقابر آل الجواهری و بعیداً عن مقابرالأنبیاء و الأولیاء.

التناقض

لما کان "التناقض" سمة من سمات حیاة *الجواهری*، و لقد أقر بها فی مواضع عدیدة لم یکن لشعره أن یتخلص منه، فقد أکسبه تناقضاً جلیاً و کأنما التناقض صار غرضاً من أغراضه الشعریة، طفح من خلال قصائده العدیدة ذوی السمة التناقضیة، لقد تحیر النقاد فی أمر تناقض *الجواهری* و ذهبوا فی ذلک مذاهب شتی و *الجواهری* نفسه کان یعزوها الی الأوضاع العمومیة لحیاته الخاصة و الی تکوینه النفسی و البیئی.

فمنذ البدایة ینمو المتناقض معه، یریدونه للدین عالماً و لکنه یرید لنفسه شاعراً، ینشأ فی بیئة محافظة، یتمرد علی البیئة و یلقی بالتحفظ و الالتزام جانباً و یحب نفسه الی حد النرجسیة. إنّ *الجواهری* شاعر کبیر و لکن له عثرات لا تغتفر، و لو قلنا اکثر قصائده فی

تمجید الملوک و الرؤساء ربما کان لکسب الشهرة و التملق و الاموال ککثیر من الشعراء ما ظلمناه، و لایخفی انّ هناک عوامل لعبت دورها فی التعریف بـه و اشـتهاره علـی المـلأ و اذاعة صیته اهمها دور الحزب الشیوعی العراقی، الذی زمّر له کثیراً و من ثَمّ البعثیون فـی اوائل حکمهم الأسود؛ فشعره السیاسی المتناقض من تمجیده للملوک و الرؤساء بقصـائده العدیدة بقی بدون دراسة موضوعیة و لم تبین اتجاهاتـه الهزلیـة، فالتأمـل و التعمـق فـی قصائده یصلنا الی انه سقط فی الحضیض و لم یحاول ان یخرج من مستنقعه الی ان وافته المنیة.

الجواهری یمجد الملوک

أ.الجواهری یمجد فیصل الثانی

یدخل *الجواهری* السیاسة من باب التملـق و التزلـف، فیرتـدی زی السیاسـیین بغیـة الوصول الی مطالب و مکاسب، نراه یثنی علی *الملـک فیصـل الثـانی* غارقـاً فـی مدحـه و تمجیده الی أبعدالحدود، فقد أنشأ قصیدته بمناسبة تتویجه قائلاً:

ته یا ربیـع بزهـرک العطـر النـدی — و بضـوئک الزاهـی ربیـع المولـد
بـاه السـما و نجومهـا یتشعشـع — عریـان مـن نجـم الربـی المتوقـد
یـا ایهـا الملـک الأغـر تحیـة — مـن شـاعر بـاللطف منـک مؤیـد
أنـا غرسـکم أعلـی ابـوک محلتـی — نبلأ و شرف فضل جـدک مقعـدی
مـا کانـت الزلفـی ذریعـة مغـنم — یرجی و لست علـی اللهـی بمعـود
یـابن البتـول و فیـک عـزّ شـمائل — مـن جـدک النـور الأغـر محمـد

(الجبوری،۱۹۹۳م: ۱۲۶)

الجواهری یمجد *الملک فیصل الأول* بعد عودته من لندن عام ۱۹۲۷م ناشداً:

حیـاک ربـک مـن سـاع بسـراء — یلقـی الوقـود بوجـه وضـاء
هذه الوقـود وقـود الشـعب حاملـة — الیـک إخـلاص أبـاء و أبنـاء
أنـت الطیـب لشـعبی و الـدواء لـه — و أنت شخصت منـه موضـع الـداء

(دیوان الجوهری، ۲۰۰۸م، ج۱: ۴۲۵)

الجواهری یمجد ملک الوهابیة

مدح *الجواهری* آل سعود اثناء زیارة *الملک فیصل السعود* الوهابی الناصبی و العمیل الامریکی، ربّما لاغداقه بریالات السعودیة فیقول:

فتی عبدالعزیز و فیک ما فی ... أبیک الشهم من غرر المعانی
و ذلک لأن کل بنی سعود ... لهم فضل علی قاص و دانی
و انهم الملاجئ فی الرزایا ... و انهم المطامح و الأمانی
علی سعة و فی طنف الأمانی ... و فی حبات أفئدة حوان

(دیوان الجواهری، ۲۰۰۸م، ج۲: ۲۸۲)

و عندما قال *الجواهری* مادحاً *الامیر عبدالإله* و الاسرة الهاشمیة، علق *عبدالإله* "وسام الرافدین" (ارفع وسام عراقی) المعلق علی صدر احد ارکان مملکته، و وضعه علی صدر *الجواهری* مما قاله فیه:

عبدالإله، و لیس عابا أن أری ... عظم المقام مطولاً فاطیلا
یا ابن الذین تنزلت بیوتهم ... سور الکتاب فرتلت ترتیلا
الحاملین من الامانة ثقلها ... لا مصعرین و لا اصاغر میلا

(جلیل عطیه، ۱۹۸۸م:۶۸)

الجواهری یدعو الی قمع الشعب

دعی *الجواهری* قیادة الانقلاب الذی قام به *بکر صدقی* ۱۹۳۶م، الی العنف الثوری و قتل الشعب بلا رحمة و البطش به، دعی الی اجراءات قمعیة، فدعوته الی البطش و الکید، ربما تعود الی تأثره بالغوغائیین فانجر وراء الفوضویین.

أقدم فأنت علی الاقدام منطبع ... و أبطش، فأنت علی التنکیل مقتدر
وثق بأن البلاد الیوم أجمعها ... لما ترجیه من مسعاک تنتظر

(دیوان الجواهری، ج۲، ۳۱۶)

الجواهری فی نزعاته المتناقضه فکراً و عملاً فبعد سقوط وزارة *یاسین الهاشمی* بادر الی مدح حکومة حکمت *سلیمان* الانقلابیة و هاجم وزارة *یاسین الهاشمی*. و لما لم ترشحه وزارة حکمت *سلیمان* نائباً فی الانتخابات علی خلاف توقعه، انقلب علی الوزارة، ثم

احیل الی المحکمة، و عند قیام حرکة *رشید عالی الکیلانی* عام ۱۹۴۱م ایدها *الجواهری*. نراه یتقلب مع تقلب الایام من الملکیة الی الشیوعیة و من ثم الی...، فیداهن و یساوم علی المبادئ و ربما لم یحمل مبدءً.

الشیوعیة و الاشتراکیة من وجهة نظر الجواهری

تأثر *الجواهری* بالمد الشیوعی الذی شرع هبوبه علی العراق منذ الثلاثینات، فذاذ عن الافکارالمارکسیة الهدامة، والتقی *بفهد*(یوسف سلمان یوسف) مؤسس الحزب الشیوعی العراقی و انشد له بعد اعدامه، فاخرج قصائده من وحی هذا التیار المارکسی، روج له الشیوعیون، فصب جام غضبه علی القیم الاخلاقیة و الاسلامیة.

رافق انقلاب ۱۴ تموز بروز ظواهر اجتماعیة و سیاسیة، فاجئت الشارع العراقی علی حین غفلة، فلم تکن ظواهر طارئه، لم تلد الظواهر فی الانقلاب ولادة قیصریة، و انما کان بعضها کامناً تحت غلاف مختوم.

ان المحکمة العسکریة الخاصة، کانت احدی التعبیرات لانقلاب ۱۴تموز، و قانون الاحوال الشخصیة کان سبباً فی استفزاز الأصول الدینیة فی مجتمع یقر دستوره المؤقت باغلبیته الاسلامیة المطلقة. تحول شعر *الجواهری* فی تلک الفترة الی تمجید شخصی.

رافقت الهجوم العسکری علی قصر الرحاب فجر۱۴ تموز، دعوات اذاعیة بالخروج الی الشوارع و القی عدداً من قصائد المدیح *لعبد الکریم قاسم* و راح الزعیم الاوحد یستعین بالشعراء و المغنیات لیمنحنه الدور المطلوب.

بینما کان *قاسم* یدعم الشیوعیین، و بدعمه سیطر المد الاحمر علی الشارع العراقی مستهتراً بکل القیم الخلقیة و الاسلامیة سارع *الجواهری* الی مدح *قاسم* واصفاً ایاه ب"أبی الاحرار"، انشد یقول:

أعد مجد بغداد و مجدک — و جدد لها عهدا و عهدک أطیب
و أطلع علی المستنصریة کوکبا — و أطلعنه حقا فانک کوکب
أقمت بها عزاً عریقاً مکعبا — و کان بها ذل عریق مکعب
و یا ربّ تموز نزلت بلیله — علی السحر الریان نار تلهّب
أبا کل حر لا أبا الشعب وحده — إذا أحتضن الأحرار فی أمة أب

هنیئا لک العید الذی انت رمزه بذکرک یستعلی و باسمک یطرب
(دیوان الجواهری، ۲۰۰۸م، ج۵: ۷۹۴- ۷۵۲)

موقف الجواهری من فتوی الامام الحکیم

فی الوقت الذی تعرض فیه المراجع و علماء الدین فی الحوزات العلمیة فی العراق للضغط و الاستفزازات الصبیانة من قبل الشیوعیین، و کان مجرد کلمة تتفوه بها ضدالشیوعیین یعرض صاحبها للمخاطر، و فی هذا الجو الشیوعی الخانق انبری واحد من زعماء ثوره العشرین بکل شجاعة و جرأة، خارقاً الجو السیاسی الحاکم فاصدر فتواه المشهورة بتحریم الانتماء للحزب الشیوعی واصفاً ایّاه بأنه کفر و إلحاد، ذلک القائد هو *الامام السید محسن الحکیم(قدس سره)*، فاهتز لهذه الفتوی العراق من شماله الی جنوبه بل العالم العربی کله، فانتشرت کالبرق و فی هذه الأثناء هاجم *الجواهری* بکل وقاحة علی علماء النجف.

ففی عام ۱۹۲۹م نشر قصیدته «الرجیعون» فاثارت ضجة دینیة و شعبیة، فبدل أن یمدح موطنه و مهد العلم النجف الأشرف، التی مابخلت علیه بالعلوم الادبیة، تمرد علی الحوزة و النجف الاشرف فی قصیدته المشؤومة هذه هاجم فیها العلماء وعلی أثرها طرده *الملک الفیصل* من بلاطه.

یقول *الجواهری* فی کتابه «ذکریاتی» عن *الملک الفیصل الأول*: «فقد کان الملک فیصل الأول، عظیماً و مهیباً»(الجواهری، ۱۹۸۸م، ج۱: ۲۹۳). عندما زار *الجواهری الملک علی* شقیق *فیصل الأول* عاتبه *الملک علی* و ذکره أنه من اسرة دینیة، لها مکانتها الروحیة ثم قال: «أشدما فیها- القصیدة- انک ضدهم فی الدین»!

کان *الملک* یرید بذلک البیت:

أنا ضد الجمهور فی العیش و التفکیر طرّاً و ضدّه فی الدین
(العطیة، ۱۹۹۸م: ۶۰)

کان الجواهری یفتری علی العلماء، و اصبح جزءً من حیاته المنحرفة تری کل ذلک فی کتابه «ذکریاتی» فیفتخر بالاعمال اللاأخلاقیة و الزنا، فافتری علیهم بقصیدته «الرجیعون» و هی التهمة المبرمجة و المنسوجة من قبل الشیوعیین ضد کل من ینتمی

للاسلام و یدافع عنه، کانت فتوی *الامام الحکیم* ضربة قاصمة لشیوعیی العراق و العالم الاسلامی، فتعدی الشیوعیون علی مقام *الإمام* فرسموا صورة لحمار و البسوه نظارات و کتبوا علیه "الحمار الحکیم" و هی مسرحیة کانت شائعة للکاتب المصری *توفیق الحکیم*(الخطیب:۴۳).

کیف نسی *الجواهری* دور علماء الدین فی مناهضة الاستعمار البریطانی، کیف استطاع أن یغض النظر عن الدور البطولی لثوار النجف، کیف أصبح صوتاً *لعبدالکریم قاسم* و للشیوعیین لیفتری علی العلماء، هؤلاء العلماء الذین قادوا ثورة العشرین و هی ثانی ثورة بعد ثورة النجف عام ۱۹۱۸م، هاجم فیه الثوار المسلمون علی دائرة الحاکم العسکری *الکابتن مارشال* فقتلوه؛ و علی اثر ثورة النجف أعدمَ الحاکم البریطانی *بلفور* فی أیام عام ۱۹۱۸م أحدعشر ثائراً اعدموا علناً فی احدی ساحات الکوفة، و فی عهد *قاسم* برزت استفزازات فی الشارع السیاسی ضد القیم الدینیة و اطاراتها الاخلاقیة، فکرست الصورة البربریة للعراق فعلق أجسام بشریة علی اعمدة الکهرباء، سحلت بحبال تجرها الحمیر فی الشوارع و لا سیما بعد أحداث الموصل و کرکوک الدامیة، فشهد العراق فی عهده موجة من الإرهاب و الخوف. *الجواهری* یمجد هؤلاء و یغنی لهم، بینما یستهزئ بوجود قبورالانبیاء فی النجف و وادی السلام فیقول: «و فیها کما تقول الأساطیر قبور هود و *صالح*»(الجواهری، ۱۹۸۸م، ج۱: ۳۵).

إستعمل *الجواهری* الاسالیب البالیة فی تحریک المشاعر و الولاءات الشیوعیة ضد الفقهاء و القیم الدینیة، کان الشیوعیون یطلقون الرجعیة علی کل مایمت بصلة للدین فزمر لهم *الجواهری* بقصیدته «الرجعیون»(دیوان الجواهری، ۲۰۰۸م، ج۱: ۲۰۶).

الجواهری و إستالین و القفقاس

واکب الجواهری غلبة الجیش الروسی فی الحرب العالمیة الثانیة، فمجد ذلک عبر قصائده منها قصیدة «سواستبول» و «ستالینغراد»؛ یقف *الجواهری* یعظم الدکتاتور الشیوعی *إستالین* فیصفه قائلاً:

نضت الروح و هزتها لواء و کسته و اکتسب منه الدماء
و مشت فی زحمة الموت علی قدم لم تخش میلاً و التواء

أقسمت باسم عظيم كرمت باسمه أن لا تهين العظماء
يا استالين و ما أعظمها فی التهجی أحرفاً تأبی الهجاء
يا تولستوی و لم تذهب سدی ثورة الفكر و لا طارت هباء

كما أنشد قائلاً:

قف علی «القفقاس» و انظر موكب المجد و العزة يمشی خيلاء
و سل القوازق هل كان دما لمعان السيف أم كان طلاء

(الجواهری، ۱۹۸۸، ج۱: ۵۳۴)

و يبادر *الجواهری* بالمديح لمطرقة *المهداوی* و *العسكری*، و *ماجد أمين* الجلاد اللذين قاما بقتل رجالات العراق تلك المحكمة الظالمة الجائرة، التی لم ينساها الشعب العراقی فيضم *الجواهری* صوته الی أصوات الثرثارين الذين هتفوا بقتل و شنق العراقيين، فاهدی *المهداوی* رئيس المحكمة قصيدة ابرز ما كان يكمنه فی خاطره، و هو بالأمس كان يمدح رجالات العهد الملكی و اليوم انقلب عليهم فقال فی قصيدته مخاطباً *المهداوی* الجلاد:

عصفت بانفاس الطغاة رياح و تنفست بالفرحة الأرواح

(الجواهری، ۱۹۸۸م، ج۱)

بينما انَّ الميزة البارزة فی الشعراء العطوفة و العزوف عن الخشونه و العنف، طفح وفاقت سمة التناقض علی *الجواهری* و يعود ذلک الی تكوينه النفسی و شعوره بالعقدة، يلقی الالتزام بكل القيم جانباً يمدح الملوک ثم ينقلب عليهم فيمجد اعدائهم و... يقدس المرأة لا، لأنها انسانة و انما لارضاء غريزته الجنسية و مجونه، فيماجنها بالغزل العاری، يتحين الفرص ليستغلها، و يحب نفسه الی حد النرجسية.

موقف الجواهری من الحكم البعثی العفلقی

عندما وثب البعثيون علی الحكم فی العراق فی۱۷ تموز الاسود، عاد *الجواهری* الی العراق ليمدحهم و يثنی عليهم، فاستقبله *صالح مهدی عماش* نائب الرئيس *احمد حسن البكر*، و انشد *للجواهری*: «هيهات ما لک بعد اليوم من سفر».

كان *للجواهری* علاقات مع بعض قادة انقلاب البعث المشؤوم أمثال *عبدالله سلوم السامرائی* وزيرالاعلام، و *شاذل طاقة* وزير خارجية البعث، و *صالح مهدی عماش* نائب

الرئیس و وزیر الداخلیة. فخصص البعثیون له فی بدایة عام ۱۹۶۹م راتباً تقاعدیاً و عندما قتل *محمدبن الرئیس*، *احمدحسن البکر* بحادث اصطدام سیارته، نعاه بقصیدة طویلة مادحاً فیها الرئیس البعثی و نشرت جریدة الجمهوریة البعثیة قصیدته علی صفحتها الاولی.

بالرغم من أنَّ الحکم البعثی فی النهایةأسقط جنسیته العراقیة، ربما لاقامته فی سوریا و علاقاته مع الحکم السوری و تمجیده *لحافظ أسد* فی قصیدته، و ربما لوقوفه مع القضیة الکردیة و انشاده قصیدته: «شعب دعائمه الجماجم و الدم/ تتحطم الدنیا و لا یتحطم».

الجواهری الذی شاهد القمع البعثی للشعب العراقی قتلة العلماء و مفکری العراق، لم یهزه ذلک. و کان له علاقات ودّیة مع ارکان و قیادات حزب البعث الدکتاتوری و الذی جری الویل و الثبار للعراق و للعراقیین، و قتل خیرة ابناء العراق من العلماء و الشخصیات العلمیة، یقول فی *صالح مهدی عماش* القائد البعثی قصیدة یظهر فیها مایکنّه لعماش من تقدیر و محبة و ودّ:

أ «أبا هُدی» شوقٌ یُلجّ و لا ... عجٌ یذکی الشِعافا
شوق المبارح لم یغیـ ... ـره البعادُ، و لا تجافی
یا منتج الدرر الحسا ... نِ معانیاً غّراً ظِرافا
یقطرن إبداعا، و ایـ ... ـثار، و حباً، وانتصافا

(جلیل العطیة، ۱۹۸۸م: ۱۳۰)

الجواهری و الحرکة الاسلامیة المعاصرة

لم تجد *للجواهری* ای بیت شعر ینصر به الحرکة الاسلامیة و لا سیما فی العراق، التی ناهضت البعثیین و تعرضت قیاداته للقتل و التنکیل و التعذیب و التشرید، و علی رأسهم *الامام الشهید محمدباقرالصدر(رض)* بالرغم من ان کثیراً من الشعراء، حتی من غیر المذهب الشیعی رثاه و بکی علیه، بل لم تجد له ای بیت ینصر فیه الشعب العراقی ضد نظام *صدام* الغاشم صاحب المقابر الجماعیة، و ذابح اطفال العراق بل أباد مدناً منها حلبچة الشهیدة و قصف سکانها بالاسلحة الکیمیائیة.

نستطيع ان نقول بصراحة انک لم تجد له بيت ينصر به الدين او المذهب، بل لم تجد له موقفاً مشرفاً تجاه *آل البيت(ع)* بالرغم من بلوغ قصائده الى المئات مادحاً الطغاة و الملوک و متغزلاً بالغانيات و العاهرات.

و اذا استثنيا موقفين لم تجد له موقفاً مشرفاً، والموقفان هما القصيدة الرائعة تحت عنوان «آمنت بالحسين(ع)» الذى كتب منها خمسة عشر بيتاً بماء الذهب على الباب الرئيسى، لمرقد *سيد الشهداء عليه السلام*، الذى يقول فيها:

شممتُ ثراک فهب النسيم نسيم الكرامة من بلقع

(ديوان الجواهرى، ۲۰۰۸م، ج۳: ۴۹۱)

يقول *الشهيد محمدصادق الصدر* عن *الجواهرى* فى كتابه «اضواء على ثورة الامام الحسين(ع)»: «بالرغم من أن *محمدمهدى الجواهرى* دنيوى أيضاً و فاسد فى عقيدته و سلوكه، و مناصر للملحدين فى شعره، و كذلک فان ديوانه يحتوى على كثير من الغزل لمعشوقات أوروبيات أحبهن و نظم فيهن، كما أن فيه قصيدة صغيرة فى ذم الحوزة العلمية، و ينسب إليها الكبائر و الفضائح. و بالرغم من كلّ ذلک فإن قصيدته فى *الحسين(ع)* و خاصة المقطع الأول منها، هى خير شعره، كما أنها خير ما قيل فى الحسين(ع) على الطريقة الفكرية الحديثة. و أعتقد أن فيها توفيقاً إلهياً مع الألتفات الى أنه قالها: منذ شبابه حين كان معمماً فى الحوزة و لم يكن متدنساً بالآثام التى طرأت عليه بعد ذلک؛ و لعل خير ما فيها قوله:

كأن يدأ من وراء الضريح حمراء مبتورة الإصبع

تمد إلى عالم بالخنوع و الذل فى شرف مترع

لتبدل منه جذب الضمير بآخر معشوشب ممرع

(ديوان الجواهرى، ۲۰۰۸م، ج۳: ۴۹۱)

و البيت الأول منها، يعطى صورة خيالية جبارة ليد *الحسين(ع)* اليمنى المبتورة الإصبع و المخضبة بالدماء.

و واضح أيضاً من الأبيات أنه يمجد *الحسين(ع)* باتجاه دنيوى لإصلاح و إحياء الضمائر الميتة، و رفع المظالم من المجتمع. ليس فيه شمة إلهية أو أخروية، كما أنه ليس فيه

اتجاه الی البکاء و التفجع، إلا ما یأتی عرضاً و لکن جانب الإخلاص و العاطفة فیه موجـودة أکیداً، فی مثل قوله:

و ماذا أعظم مـن أن یکـون لحمک وقفـاً علـی المبضـع
و تطعم للموت خیر البنـین مـن الأکهلـین الـی الرّضـع

(المصدرالسابق: ۴۹۱)

و علی أی حال فمن الواضح أن *الحسین(ع)* یفهمه کل شخص بمقدار مستواه و ثقافته و قناعته، و أی من ذلک حصل کان خیراً و نعمة. و کان مؤثراً فی ایجاد الهمة نحو التمرد علی الظلم و التضحیة بالنفس و النفیس، فی سبیل إیجاد العدل حسب اختلاف مستویات إدراک هذا العدل»(الصدر، ۱۴۲۷ق، ج۶: ۱۱۹-۱۱۸).

النتیجة

بعـد هـذا الاسـتعراض لجوانـب الموضـوع، یمکننـا أن نشـیر الـی بیـان أهـم النتـائج المستخلصة من هذه الدراسة؛ کان *الجـواهری* مـدافعاً للشـیوعیین و *عبـدالکریم قاسـم* و الإشتراکیة، فقد زمّر و طبل للشیوعیین و *قاسم* و وصـفه بـأبی الأحـرار. فلـه صـلة وثیقـة بقیادات حزب البعث، و مدح *صدام حسین* و *أحمدحسن البکـر* بـاکثر مـن قصـیدة. کمـا أنشد للملوک و الرؤساء، فقد انشد *لفیصل السعود الوهابی*، و *الملک حسین* ملـک الأردن، و *الملک فیصل الاول و الثانی*، و للوصی عبدالإله.

کان *الجواهری* مخالفاً للتیار الإسلامی فی توجیهاته، و بعیـداً عـن الحرکـة الإسـلامیة المعاصرة، و لم تجد له ای بیت شعر ینصر به الحرکة الاسلامیة، أو موقفاً مشـرفاً تجـاه آل البیت(ع) بالرغم من بلوغ قصائده الی مئات مادحاً الطغاة و الملـوک و متغـزلاً بالغانیـات و العاهرات.

المصادر و المراجع

ابن النجف، الخطیب. لا تا. **تاریخ الحرکة الاسلامیة المعاصرة فی العراق**. بیروت: دار المقدسی.

الجبوری، عبدالله.۱۹۹۳م. **الجواهری نظرات فی شعره و حیاته**. بیروت: دارالکتب العلمیة.

الجواهری، محمدمهدی. ۱۹۸۸م. **ذکریاتی**. الطبعة الاولی. دمشق: دار الرافدین.

ـــــــــــ . ۲۰۰۸م. **دیوان**. بغداد: دار الحریة للطباعة و النشر.

الصدر، محمدصادق، ۱۴۲۷هـق. **اضواء علی ثورة الامام الحسین(ع)**. قم.

العطیة، جلیل. ۱۹۹۸م. **الجواهری شاعر من القرن العشرین**. لا مکان: منشورات الجمل.

العلوی، حسن. ۱۹۸۳م. **عبدالکریم قاسم رؤیة بعد العشرین**. لندن: منشورات دار الزوراء.

ـــــــــــ .۱۹۸۳م. **الشیعة و الدولة القومیة فی العراق**. قم: دارالثقافة للطباعة و النشر.

المقالات

ممتحن، مهدی، حسین محمدیان و محمدامین رودینی. پاییز۱۳۸۹. «**دین در اندیشه جواهری و شهریار**». فصلنامه مطالعات ادبیات تطبیقی. دانشگاه آزاد جیرفت. دوره ۴. شماره۱۵. صص۱۴۳-۱۶۴.